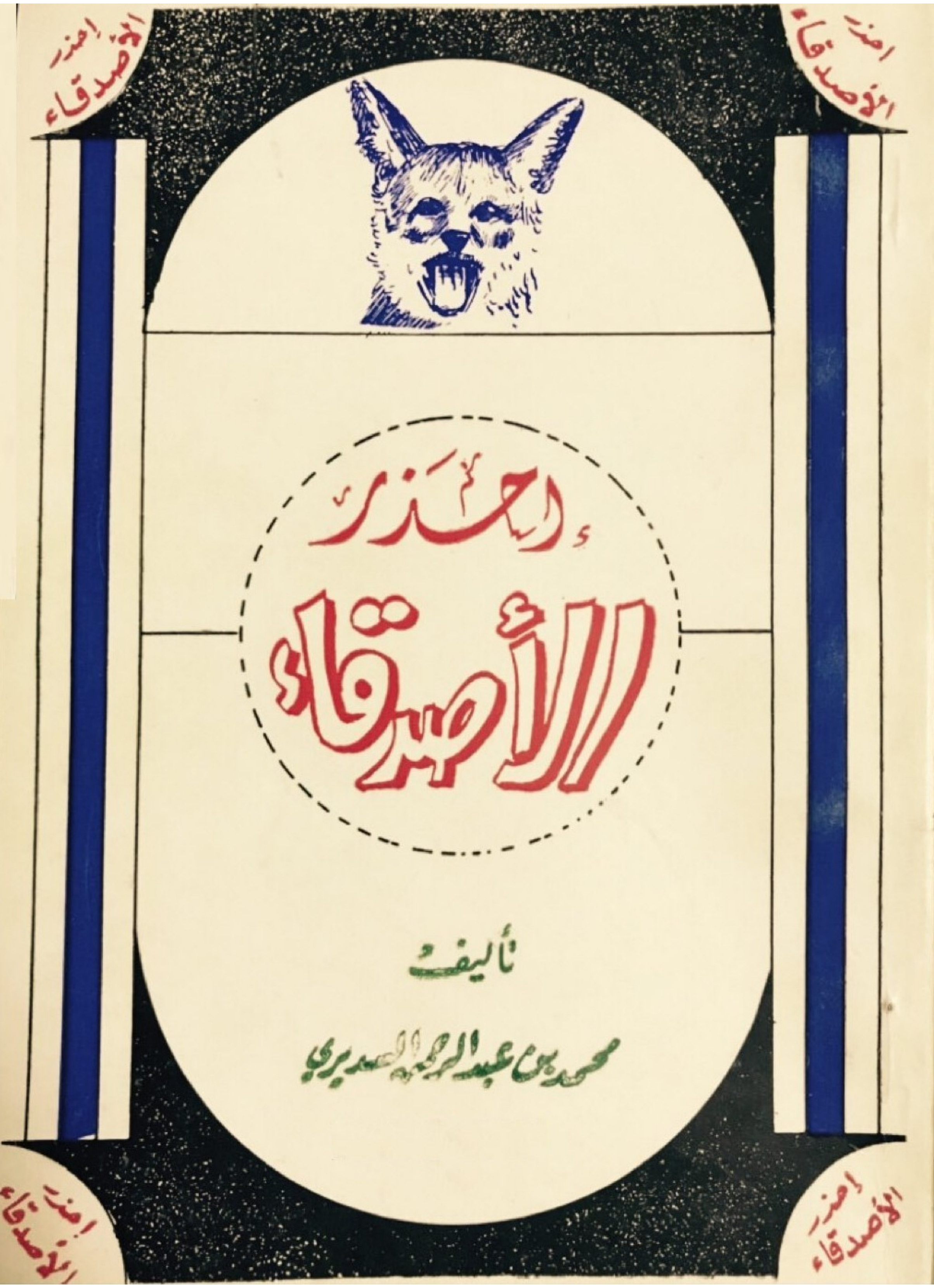


احذر الأصدقاء

تأليف

محمد بن عبد الرحمن الصديري

احذر الاصدقاء

ـ« تأليـف » ـ

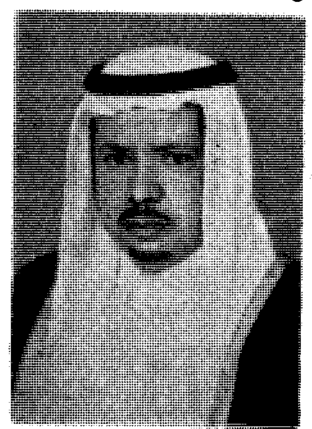
« محمد بن عبد الرحمن بن تركي بن عبد الله بن تركي
بن محمد السديرى »

قال الشاعر

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أدرى بالمضرة

الطبعة الأولى لعام ١٣٩٢هجرية

ـ« نبذة عن المؤلف »ـ



أ) الاسم محمد بن عبد الرحمن بن تركى بن عبد الله بن تركى بن محمد السديرى ٠

ب) العمر تجاوز العقد الرابع ٠

ج) من مواليد بلدة الغاط ٠

العمل الوظيفي

١) عمل بأمارة منطقة الرياض فى عام ١٣٨٢ هـ رئيسا لقسم الموظفين ٠

٢) عمل بوكالة البلديات رئيسا لقسم الأوراق والبرقيات ٠

٣) عمل مفتشا بوزارة الداخلية ٠

٤) عين أميراً للمندق فىعام ٨٨ هـ وما زال فى عمله الأخير ٠

ـ« الاهـــداء »ـ

الى ابني الغالى فهد بن محمد واخوانه ..

الى كل جاهل بالأصدقاء .

الى كـل الطيبـين مـن الناس .

الى أصحـاب القلـوب الطيبة والنيات الحسنة ،أهدي هذا الكتاب .

المؤلف



المقـــــدمة

بقــلم :

صاحب السمو الأمير خـالد بن فهـد
وكيل وزارة المعـارف

عندما طلب مني الأخ الكريم محمد العبد الرحمن السديري أن أقدم كتابه هـذا ، تذكرت القول العربي المأثور « صديقـك من صدقك لا من صدقـك » ومرت بخاطري صور عديدة للصداقات القائمة بين البشـر ومسبباتهانشأتهاووثوقها ، اهتزازها واضمحلالها ، حلوها ومرها • وقد سعدت بقراءة هذا الكتاب الذي استعرض مختلف أنواع الصداقات ، ووضح صورها وسـردها بأسلوب قصصي شيق ، مستشهداً بحكـم العرب فى هذا المجال ، من شعر ونثر ذلك كلـه ليصل بالقاريء الى الحقيقة المجردة ، ويدله على الطريقـة المثلى لاختيار الصديق •

خالد بن فهد بن خالد وكيل وزارة المعارف

٢٨ ـ ١١ ـ ١٣٩١ هـ

- احــذر الأصدقــاء -

من قول الطغرائي :

أعــدى عــدوك أدنى مــن وثقــت بـــه
فحـــاذر الناس واصحبهــم على دخــل

وحســــن ظنــك بالأيـــــام معجـــزة
فظــن شــــراً وكـــن منهم على وجل

قد يكون مستغربا للقارىء الكريم عنوان كتابى هذا · ومن المحتمل ألا يقنع بهذه التسمية · اذ كيف يحذر الصديق صديقه · ولكن الذى قد لا يعجبـــه هذا الاسم ربما يكون له بعض العذر · امــا بسبب عــدم وجودأصدقاء له · أو بقوة صداقته انوجدوا · أو أن يعتبر الأصدقاء الحقيقيين أوفياء وهــذا ما يجيز لــه انكار عنوان الكتاب · غير أن الصداقة على حقيقتها لا توجد فى وقتنا الحاضر · وان وجـدت فهى مستترة خلف دخان كثيف من النفاق · وقد توجد صداقة على حقيقتها · غير أنها نادرة ونادرة جداً ولا يتمسك بهــا الا القلة القليلة المتمسـكة بأهــداب الفضيلــة · ولا يسترها حاجب عن العين · قد يقول البعض من الناس انه متشائم · أو أنه لم يوفق لاختيار الأصدقاء · ومن هنا فشل فى مهمة الاختيار فحمل على مفهوم الصداقة دون هوادة · وانطلاقا من نقطة عدم الاقتناع بهــذه التسمية من جانب القارىء أو الناقد الكريمين ألتمس لهما المعذرة فى هذا الموقف · على اننى وأقولها بملء

ف · انما توصلت الى هذه الحقيقة بعد تأمل وتجارب وسبر غور هذه العلاقة التى تحدث بين الناس ونطلق عليها تسمية صداقة · فأكرر القول أن الحذر من الأصدقاء واجب · واذا كانت الظروف تفرض نوعا من الصداقة بين شخص وآخر فان رباط ذلك الغرض أو هي بكثير من خيط العنكبوت الذى تمزقه أقل اهتزازة بسيطة أو ريح عابرة · ذلك أنها صداقة بنيت على منفعة معينة ومؤقتة يزول بزوالها كل مقوم لها · ومن أجل هذا كان الوجوب مطلوبا ومرغوبا فى الحذر من الاصدقاء الذين يؤسسون الصداقة على أهداف ولأغراض تستتر خلف تلك التسمية · ولا يصح أن ندعو ذلك بصداقة نظراً لزوالها بزوال المنفعة · يقول الشاعر :

صلى المصلى لأمر كان يطلبه

لما انقضى الأمر لا صلى ولا صاما

اذاً الصديق الذى يدعي أنه أخ لك لم تلده أمك مبرراً هنا أنه صادق صدوق صديق ثم يخالف بذلك واقع الحال لا يجوز لنا اعتباره صديقا على الاطلاق · لأن هذا المدعى للصداقة لا تجده فى وقت الضيق ولا فى ساعة الحرج دافعا عنك مضرة ولا جالبا اليك مسرة · وانما تجده اسما على غير مسمى وهيكلا يتداعى عند لمسه فلا تجد منه تضحية وعملا · ومتى أدركنا ما نقرأه عن ما سبقنا من أمم نجد بدون تردد بين طيات كتب التاريخ أن أناسا كثيرين تخلوا عن

أصدقائهم وأبعدوا عنهم كل البعد ، ويبرز لنا هـذا عند كبوة جواد أحد الناس أو عندما ينالـه المكروه · وهذا شيء يخالف ما تتطلبه الصداقـة من الوقوف بجانب الصديق وبذل النفس والنفيس فى سبيله لتبقى الصداقة شامخة شموخ الرواسي على أسس صلبـة ومتينة الى الأبد ·

أما الصداقة الكلامية ـ ان جاز هذا التعبير فهى من وجهة نظرى الشخصيـة لا تعـدو كونهـا تمويـه وطمس لحقيقة يجب أن تبقى على مر الزمن وأن تكون بعيدة عن الاحتجاب · وليس الغرض من اصدار هذا الكتيب هو العمل على تفتيت العلاقات الأخوية القائمة بين الناس انما قصدت فقـط أن نسبر غور من يدعون صداقتنا فلا نمد لهـم أيدينـا قبل أن نثق من حقيقـة طويتهم · والله أسأل أن يهدينا الى سواء السبيل ؟

« **المؤلف** »

مدخــــل

« من أى نوع نستطيع تسمية الصداقــة »

أهى الصداقة التى تربط بين شخصين أو أكثــر فى وقت السعة ثم تنحســر فى وقت الضيق • وهل يجــوز لنا تسميتها بصداقة ؟؟ أم يجــوز لنــا ألا ندعوهــــا صداقة ونتعدى فى ذلك الى التحذير من استمرارها • اذاً ما دامت على هذه الصفة المقوتة ؟ حب واخلاص وتضحية فى الكلام وبعد وخيبة وأنانية عند الحاجة • أجزم ان تحذير المتعاقدين على هــذه الصداقـــة من الاستمرار بها غاية مطلوبة وواجب ينبغى علينــا ألا ننساه تجاه هؤلاء بل نرغب منهم أن يبعدوا بأنفسهم عن مثل هذا • وألا يسكنوا بيت طين أسس على البحر وتم بناؤه فى حلم من الأحلام • كم رأينــا بين النــاس صداقةمستمرة معطيةمظهراً منمظاهر القوة والمتانة والمحبة ثم ما لبثنا أن رأيناها تحتضر بزوال غايتهــا الموقوتة • وعلى هذا الأساس ممــا أسلفتــه لا يمكن للصديق أن يأمن صديقه • بل المفروض أن يحذره من أن يستمر بالسير مع هذا الطريق المسدود • لأنهطريق له نهاية كما كان له بداية • ليس من يدعى أنه صديق نصدقه بقوله بل قبل تصديقــه لا بد لنــا من معرفــة حقيقته وغايته التيى يمكن لنا بعد معرفتهــا أن نحكم عليه بالصدق والصداقة أو أن نقول له لا تستحق أن نمنحك صداقتنا •

« تجربــة من الواقع »

ذات يوم كان لي صديق من الملأ أعتبره كذلــك • ولم يكن رباط صداقتى معه بدافع من غــير الصداقــة نفسها • وقد توسمت فيه الاخلاص والبعد عن الغايات النفعية استناداً على ســمعته الحســـنة وعلاقتـــه بالآخرين • ورغبت بهذا الدافع الى انشائها وتنميتها فنمت وكبرت وبلغ عمرها العشر سنوات • وما خلت أو تصورت أنها ستتصدع بعد ذلك البناء القوى • الا أن طبيعة البشر هدمتها بمعول المنفعــة الذى يحملــه الضعاف من الناس مغلق عليه بين الدنايا لشهره متى دعت الحاجة اليه • وقد شــهره صديقى هــذا وأخــذ يضرب به بعنف وقسوة حتى حطــم به كل شـــىء • وتحققت بعد هذا أن صداقة العشر سنوات هى تخيلات وهمية •

« التجربة المرة •• الطعنــة النجلاء »

ـ ماذا بعد العشر سنوات من الصداقة ـ

فى نهاية السنة العاشرة من بدء الصداقة السالفة أصابنى مرض ، وقى الله القارىء الكريم والمسلمين شره • فاضطررت معه أن أستخدمه لقضـــاء أمورى خلال مرضى • وكان فى الاسبوع الأول من الحاجة اليه متفتح الأسارير ينتظر منى أدنى اشارة لــه ليقــوم بخدمة صديقــه • وكـــان مدينــــا لي وليس بدائن •

واستمر مرضى قرابة نصف سنة لم أطلب منه أكثـر مما عنده لي · وأتذكر أننى طلبت منه ذات يوم شيئا من النقود تذصنىفأرسل لي تحويلا لأقوم باستلامه · وكيف يكون ذلك وأنا على فراش المرض ؟ وكانت هذه البادرة هى أول تغير فى معاملتـه مع صديق العشـر سنوات · وقد رددت له تحويله بشىء من الغرابـة · اذ ليس بمقدورى أن أصرف التحويل ولا أن أوقع عليه لشدة مرضى وكان جوابه للذى عاد اليـه بالتحويل : ماذا يريد منى · أيريد أن أعطيه نقوداً وأصرفها له ؟ ألله أكبر ما شاء الله تبارك الله · انهـا اجابة تطعن قلوب الأصحاء · فكيف يكون وقعهـا لدى المرضى · ثم من أين أعطانى هذا التحويل · قد يقول قائل انهـا سلفة · أو انها مساعدة · ولكنى أقول لا والله · انها أمانة نقدية عنده بموجب ايصـال شرعى وبصـورة أكثر وضوحا بايصال مصدق عليه شرعا · كان هذا الرجل ان صح أن أسميه بهذا الاسـم صديق رخـاء ورفيق منفعة · كيف لا يكون كذلك وهو يلعب بالأمانة ويذل بها لمصلحتـه الشخصيـة ؟ لم يردهـا حينمـا احتجتها · وقد يسألنى سائل · أليس ممكنا أن يكون قد احتاج اليها وما حسب لمرضك حسابا وتصرف بها مطمئنا اليك ؟ وأجيب هذا السائل بأنه ليس فى حاجـة اليها على الاطلاق · فلديه من أموال النـاس الشىء الكثير الذى يغنيه عن هذه الأمانة · وأى أمانة هى ؟ انها أمانة مريض هو بأمس الحاجة اليهـا · ولم يكن له من قصد عند تحويله الا ليكسب أياما يراوغ فيهـا

صديقه ويعبث بأمانته كما عبث من قبل ومن بعد فى أموال من جعلوه أمينا على أموالهم · أولئك الناس الذين وضعوا فيه الثقة التامة · وأخال القارىء لهذا غير مكترث لحد الأهمية بهذا الصديق · فلربما أعتبر الحادثة فردية ونادرة والنادر لا حكم له · غير أن ما يمكن تأكيده من الحذر من الأصدقاء هو أن هذه الحالة ليست كما يخالها القارىء وليست نادرة · انما هى مرض واسع الانتشار فى كل مكان · وفى زماننا هذا على الأخص · ولاكمال قصة هذا الرجل معى والقاء الضوء على سلوكه نحوي حتى أبين للقارىء الكريم أن حالته المالية ليست كما توقعها · أسوق هذه الحادثة فلقد سافر الرجل الى بلد خارج الوطن الحبيب وكنت مريضا بذلك البلد · وقد زارها صديقى هذا والذى لديه الأمانة لي · وأنا مريض لا أستطيع الحراك · وتجنب زيارتى ثم عاد بعد مدة للوطن فسأله صديق لكلينا · كيف رأيت فلانا عساه بخير ؟ فرد عليه · لم أره · قال له صاحبه بدهشة واستغراب ولماذا ؟ فرد بكل صراحة · أخشى أن يعطل سفرى ويطلب أمانته · تصوروا الى أى درجة من النفعية والأنانية بلغها ذلك الذى محضته صداقتى وثقتى ذات يوم من الأيام أيام صداقة العشر سنوات ·

« وبعد العودة »

بعد عودتى من السفر طلبت منه أن نصفى الحساب · وأرسلت له تحويلا « شرح هو عليه ·· مستعد للدفع بعد المحاسبة » قالها وهو مدرك أنه

لا يريد الا كسب الوقت · وهو مدرك أيضا أنه مدين بالشيء الكثير · ولكنها عادة الطامع وعادة ضعيف النفس · وكرغبته انتخبنا شخصا بالاجماع وتم الحساب · وظهر أنه المدين بالشيء الكثير واصفر محياه كعادة الذين يخسرون الصدق ويخسرون الصداقة · وأقر بالدين · ولكنه لم يسدد · وهنا وضح القصد والمراد وأعلن افلاسه بسحب الناس أموالهم من عنده · وكانت له عادة ظريفة ظرف الكذابين اللؤماء فكان كثير القول لمن أحولهم عليه بشيء من المال · ليس له عندى شيء · ولكن ماذا أقول « مع الاعتذار لنزار قبانى : ماذا أقول لأدمع ·· وقال أخيراً اننى لا أملك التسديد · وسامحه صاحب الأمانة بما تبقى لديه مسامحة انتهت معها كل رابطة من روابط الصداقة مع هذا الرجل الطيب الأمين الحافظ للعهد والوعد « وقد توفاه الله ـ سامحه الله وعفى عنه » ·

وصديق آخر ان جازت تسميته بذلك من نفس العينة والطينة السابقة للأصدقاء الآخرين ، الا أنه متميز عن غيره بميزات قبيحة ونادرة فى الوقت ذاته · وأعتقد أنه لايجوز تسمية معائبه بمميزات · الا اذا كانت التسمية من قبيل الأضداد كما يقول اللغويون أو من باب النكتة لتسلية القارىء · وهى بطبيعة الحال ممقوتة ومنهي عنها · انها صفات الكذابين المزركشة بمدهون النفاق · ان أجاز لي الرسامون هذا الانتحال · لكونهم يستعملون تلك

الأدوات فى تلوين لوحاتهم · وان وافقهم على جواز ذلك ـ البويجية ـ على مختلف أنواعهم وأذواقهم · هذا الرجل كان يبد اهتماما وحرصا بالغين حد الاخلاص حينما كنت خارج الوطن الغالى · وكان شديد السؤال عن حالي وما أنا عليه لدرجة التغنى فى محبتى وكان قاب قوسين أو أدنى من السفر للخارج ليرانى وليطمئن على صحتى ـ الغالية ـ على حد قوله · وكان يلوم الأقربين مني على عدم سفرهم للوقوف على حالتى المرضية · ولم يقتصر حديثه بهذا الشأن مع أقرب الناس الي بل مع أبعدهم أيضا · حتى خيل لأولئك أنه عازم ومتوكل على الله ويعد العدة للسفر لزيارة صديقه الذى هو ـ أنا ـ حينما يغاب عنهم يوما أو يومين · ويأسفون لعدم ارسالهم كتبا أو هدايا معه ·· ثم يطلع عليهم بعد ذلك وقد يكون قد سافر الى جهة أخرى وليس سفره لزيارة من كان يلح فى السؤال عنه ·

« الاستقبال »

شاء الله سبحانه وتعالى أن أشفى مما أصابنى من مرض خطير وأن أعود بعد عامين قضيتهما فى الغربة متنقلا بين مستشفى وآخر وبين طبيب وطبيب ألتمس الشفاء · وقد كان وصولي فيما ظهر على صديقى أشد من وقع الحسام المهند · وأبعد ما يكون التصور · فلم يستقبلنى وهو يعلم بيوم وصولى · بل انه حينما علم بذلك · انتقى أسرع سيارات الاجرة سيراً وغادر البلد التى وصلتها الى بلد آخر لا تبعد

عن مكان وصولى بأكثر من ألف ومائــة كيلو متراً ٠ وبعد مضى أربعة أشهر جاء للبلاد التى هرب منها ٠ فرأيتهصدفة عند أحد الأصدقاء ٠ فسلم علي سلام يقل بعشر درجات كما كنت أتوقعــه ـ وأستميح مصححي أوراق الامتحانات عذراً بهــذا التعبــير ٠ ولو اننــى لا أتصور منه أكثر مما حصل ٠ انــه ممعن فى فنــون الدجل والكذب والنفاق ٠ امعانــا يحجز لــه المكــان المناسب فىفندق الكذابين ، صدقنىأيها القارىء الكريم انه حتى كتابتى لهذه السطور التى أكتبهــا بعد مــدة طويلة من وصولي ٠ صدقني انني لم أره غــير المــرة التى أشرت عنها صدفة لدى أحد الاخوة ٠ ولكنــه لم يعد أيضا يكثر الزيارة لأولئك الناس الذين كان يقول لهم ويعدهم انه مسافر للخارج للاطمئنان على صحتى ـ الغالية ـ جداً لديه ٠ وقد توفاه الله من مدة قريبــة رحمــه الله ٠

« نمــاذج من الأصدقــاء »

روى لي رجل من الثقاتكيف كانيعامله صديقه ٠ يقول الرجل والعهدة على الراوي : انه كان يعمل فى مكان ما ٠ وان لــه قريب وصديق فى الوقت نفســه ٠ وكان ذلك الصديق القريب له مطبوع بطابع الثرثرة وحب الظهور بالمظاهر البراقة ٠ فقــال له صديقــه الثرثار : يا أخي ويا صديقى أتدرى ما أتمناه ؟ قال له صديقه : الصحة ؟ قال لا : قال الوظيفة الكبيرة ؟ قال لا : قال طول العمر ؟ قال لا : قال له صديقه الله أعلم ٠ لأننى لو تمنيت شيئا لاخترت واحدة من هذه ٠ قــال

الصديق الثرثار : أنـا أخبـرك بمـا أتمنـاه ٠ ان ما أتمناه هو أن تحتاج الي بأي خدمة أقوم بها لـك ٠ كلام فى نظرى غير معقول أو مقبـول ٠ بل قول مبـالغ فيه الىأبعد حدود المبالغة ٠ شخص يفضل قضاء حاجة صديقه على صحته وعلى الوظيفة وعلى طول العمر ! كيف يكون الأمر ! لا بد وأن وراء الأكمة ما وراءها ٠ كان هذا المتمنى هو المحتـاج باسـتمرار الى ذلـك الشخص الذى يفضل تقديم الخدمة لـه والتي ان قدر له أن يؤديهـا فهي تفوق فى نظـرى المقومـات التى أوردناها ٠ ويشاء الله وهو الذى لا راد لمشـيئته أن يتغير ميزان القوى وتأتى الساعة الحاسمةالتىيحتاج فيها ذلك الرجل الى صديقه الثرثار ٠ جاءه صاحبـه وقال له : اننى محتاج اليك بحاجة بسيطةوقليلة : أنت تعرف يا صديقى ولم يقل الثرثار طبعا كيف تغـيرت أحوالى بهذه السرعة وأنت أقدر الناس على قضـاء حاجتى ٠ اننى أحتاج الى مبلغ من المـال لا يتجـاوز الألف ريال ٠ وان لي من الرجاء بك ما يجعلنى أجـزم بقضاء ذلك من لدنك ٠ والى هنـا نظـر الثرثـار الى صديقه مرة أخرى محملقا فاحصا متفرسا فيه ٠ كأنه يبحث عن شيء ضائع منه ثم نظر اليهوقال : ـ يا ليت وأتجمل ٠ ليس لدى ما يمكننى من قضاء طلبك ولكن عدني غداً ٠ فعاده المحتـاج من الغـد حيث علم أنـه مسافر ولم يقضى له أمراً ٠ وهكذا فان حبل الكـذب قصير فسرعان ما تأتى العين الفاحصة لتكشف زيفه وريائه ٠٠

« أصدقاء القرن العشرين »

هم كثرة فى هذا القرن كغثاء السيل · درسوا النفاق والتملق فأتقنوهما · اذا قابلت أحدهم ضحك فى وجهك وأخفى عنك فى نفسه ما الله مبديه · أصدقاء نعمة ان وجدوها لديك أعداء لك ان فقدوها منك · ان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون · يرحب بك أحدهم ترحيبا يجعلك توهم نفسك أنه صديق حقيقى · متملق مدرك لكل أبعاد التملق · مخادع ماهر فى الخديعة · وكاذب فى كل ما يقوله · صادق فى كل مالا يقوله ·

« متى تكون صديقا للناس ؟؟ »

الناس يحددون صداقتهم مع الآخرين بحدود واضحة المعالم فاما أن تكون مقترنة بفترة منفعية وهذا هو الغالب · واما أن تكون معنوية وهذه مشكوك فى أمرها · وخاصة فى هذا الزمان الذى طغت فيه المادة على كل شىء · زمان اهتم أهله بأنفسهم ونسوا غيرهم حتى ولو كانوا أهلهم وعشيرتهم · الصديق فى هذا العصر نادر الوجود · ندرة لم تعد خافية على أحد · فالمرء بهذا الزمان هو نفسه صديق نفسه وليس له صديق بما للصداقة من معنى ··

« من هو صديقك أيها القارىء الكريم ؟ »

ستقول هو ذلك الشخص الذى عشت واياه فى مكان واحد وزمان واحد أو ربما قلت هو ذلك الرجل الذى لم يقابلنى الا وهو يبتسم أو ذلك الذى عرض أن

يقوم لي بأى خدمة · وقد يقول آخر انه أخى أو أنه ابن عمى أو ابن خالي · ولا يمكن أن ينكر عليه أحد هـذه المقالة · وهذا تعبير عن مفهوم القائل وليس عن مفهوم الذين عرفوا الصديق · بعد أن عجموا عوده · وعرفوا المرارة أو الحلاوة · وعرفوا بعد ذلك الصداقة ومقوماتها · انما الصديق الصادق هو خلاف ما ضنه الضانون فهو ليس أحد هؤلاء ولا ذلك الشخص الذى تربيت واياه فى مسقط رأسك · ولا ذلك الذى قضيت حياتك الدراسية بجانبه من الروضة الى الجامعة · وليس هو أخوك ولا ابن عمك ولا ابن الخال كل هؤلاء قد يأتى الوقت الذى تجدهم فيه أبعد الناس عن تقديم أيديهم اليك فى أى وقت يكبوا فيه جوادك · ولا ينفى هذا الكلام أن الصديق غير موجود بين هؤلاء ، ولكنه غير موجود حتما بينهم كلهم · فكم رأينا من الذين عاش المرء معهم وترعرع فى مكان واحد وفى زمان واحد يقلبون له ظهر المجن ناسين زمن الصداقة الطويل متذكرين وقتهم الحاضر ولا غير وقتهم الذى هم فيه عائشون · وكم رأينا أناسا جعلوا الابتسام لهم حين يلقون الآخرين حصانا يمتطون صهوته للوصول الى مكان فى قلوب أولئك السذج من الناس وليس الصديق فى هذا الزمن أخوك لا فض فوك ولا ابن عمك حين يكثر همك · ولا ابن خالك حين يقل مالك · ان صديقك الصادق وحبيبك المرافق هو علمك وأخلاقك وما تملك · وبقدر ما تملك من الدراهم والدنانير بقدر ما يكثر الأصدقاء · وبقدر ما تنحسر

هذه الدريهمات والدنانير يقل منسوب الصداقة · ان أجاز هذا التعبير من يهمهم الأمر فى شئون المياه · والمثل العامي يقول : (بيدك ريال تسوى ريال ما بيدك ريال ما تسوى ريال) وان عدوك هو ما فى يد الناس · لقد مررت أنا ومررت أنت أيها القارىء الكريم بطبيعة الحال بمراحل أدركنا معا فيها بحكم التجربة من هم الأصدقاء الأوفياء ومن هم الأصدقاء الاصطناعيون · ومن خلال هذه التجارب علمنا بما لا شك فيه أن الأصدقاء الحقيقيون هم قلة قليلة وقليلة جداً وجداً فى عصرنا الحاضر · قد نخطىء كما يخطىء الآخرون الذين يظنون أن الأصدقاء هم أولئك الذين تعودوا أن يخدعونا جميعا بتلك الابتسامات الصفراء الممزوجة بسم الأفاعى والمكر والخديعة · أجل · اذا كان أصدقاؤك من هذه الفصيلة فاحذر الأصدقاء · قد يخدع المرء منا بمظاهر الناس · وبصفة خاصة بأقرب الناس اليه فينساق مع العاطفة نحو هذا القريب ويجزم لا اعتقاداً أنه ذلك الجبل الأشم والطود الشامخ والسد المنيع الذى يلوذ به عندما تعصف به عواصف الدنيا فلا يلبث أن يدرك فداحة الذديعة · فينهار معها جبله وطوده وسده بحيث يرى نفسه وحيداً فى بلقعة مكشوفة أكثر انكشافا من انكشافة حقيقة أقرب الناس اليه التى خدعته الرؤية الكاذبة بها وخدع معها نفسه · قد تظن كما ظن غيرك وبعض الظن اثم أن أخاك سيقف معك وقت الكربة وساعة الحاجة ويوم الشدة · ولا تفكر بما يعكس هذا الظن ما دمت لم

تختبر أخاك ولكن حين يجد الجد وتحتاج أخاك لا تجده وان وجدته فهو فى مجاهل الأعذار وفى أودية عميقة تظللها أشجار كثيفة من الغابات يتستر فيها كل من أراد الهروب من الواجب حين تدعو الحاجة الى الاستعانة بهذا الأخ ٠ أو على الأصح حينما يشعر هو بمدى حاجتك اليه ترى وجهه مصغراً أو مسوداً ٠ تلك هى طبيعة النفس البشرية ورحم الله شاعرنا الفيلسوف شاعر النبط حميدان الشويعر الذى يقول :

قال عود زلف له سنين مضت
زل عصر الصبا والمشيب احضره
احضره بالمجالس يتالى العصا
زهد فيه الولد والوغد والمره
من بقى معه مال فهو غالى
يكنسون الحصا بالعصا عن ثره
وان بقى ما معه شىء فهو خائب
قيل عود كبير وفيه الشره

من هذا ندرك أن صديق المرء نفسه ثم ماله الذى بيده ولا شىء غيره ٠

« احذر هؤلاء »

هناك من يسمون أنفسهم بالأصدقاء دون أن يكون بينهم وبينى أو بينك ما يؤهلهم للصداقة وهم لايرجون منك أو منى نفعا ولا يخشون مضرة ٠ ولكنهم قد يريدون بك المضرة ويسعون فى جلبها اليك بأى ثمن من الأثمان ولو أدى ذلك الى أن تتحمل ذممهم ذلك ٠

وذممهم محملة بذنوب كثيرة بسبب سلوكهم هذا معى ومعك ومع الآخرين · ان الواحد منهم حين أقابلـه أو تقابله أنت يكره نفسه الخبيثة الشريرة على ما يسمى فى وقتنا الحاضر بالمجاملة المؤقتة · فقد يبتسم لك حين يراك وهو يقدم « فنجال » الشاى أو القهوة لك قبلـه امعانا فى التضليل ولا يكتفى بهذا القدر من التضليل المكشوف لغير البلداء · بل يبدأ حديثـه معـك فى لوم رئيسه ورب نعمته الذى سعى له فى التبختر على هذا الكرسى الدوار الذى تراه من فوقه كاشـارة المطـار تدور يمينا وشمالا · لماذا يلوم رئيسه ؟؟ ولماذا ينحى باللائمة على رئيسه ؟ ولمـاذا يبدى لكل مراجع أنـه حريص على قضاء حاجات النـاس وخدمتهـم ؟ ولكن عينه بصيرة ويده قصيرة كمـا يقـول المثـل · ويلقى بتبعات كل هذا عليه فهـل هو صـادق بهـذا أم لا ؟ الجواب على هذا السؤال هو أن الناس يختلفون عن بعضهم البعض فمنهم صادق ومنهم كـاذب · فأمـا الصادقون منهم فهم قلة قليلة · وهـم ملومون بهـذا التصرف اذا بدر منهم اذ أن واجبهم ابداء النصيحـة لمن يعملون تحت امرتهم وأن ينقلوا اليهم بكل أمانـة واخلاص وصدق الحقيقة · أما أولئك الذين ألفتهم أنا وأنت حينما تضطرنا الظروف لمراجعتهم وهذا التذمر الذى يبدونـه هو السـبب فى وجودهـم فوق الكرسى الدوار · فمنهـم تجـار نميمـة وموزعوا أكـاذيب مروجوا اشاعات · لا يعترفون بالجميل لمن كان سببا فى وجودهم أمامى وأمام الآخرين · انهـم يريدون أن

يبدر منك كلمة تشمت فيها بمن يحبون أن يوقعوك معه وفى شره · ولا أقل من هذا ولا أكثر · وهم فى تصرفهم هذا يقلون بكثير عن مستوى مسئولياتهم وينحدرون بأنفسهم انحدار السيل مع الوادى انحداراً أقل من مستوى الارتفاع الذى يجب أن يكونوا عليه · وأن تعجب فعجب من سوء تصرفهم وعدم مبالاتهم واهمالهم والصدود عمن وقف أمامهم يشكو لهم ما هو فيه فلا ترى منهم اذنا صاغية ولا اللباقة والكياسة مع هذه المراجع · ولا تستغرب معى أن أقف أمامهم أنا وأنت معقبين على أى عمل أمام أحدهم نتكلم معه فى صلب الموضوع فتراه مشغولا مع شخص آخر بجانبه وفد عليه لزيارته الخاصة · ولا تستغرب اذا رأيته منساقا معه فى همس وتبسم أو تجهم وأحيانا فى ضحك فى مكان ليس من اللائق أن يضحك فيه · وقد لا يكون بعضهم فى موقف كهذا الا أنه قد يكون فى موقف يماثله من حيث عدم الاهتمام · فتراه يدير قرص تليفونه مع أحد الأصدقاء بأمور هى أبعد ما تكون عن مجال العمل متشاغلا بهذه الثرثرة · وفى كثير من المرات تتخطى المكالمات العمل بطلب لا علاقة له بالعمل كأن يطلب بقالة فلان أو محل فلان · وحينما تحضر البقالة عن طريق التليفون يبدأ بديباجة تستغرق وقتا ثم يسأل بعد الديباجة عن موجود البقالة من لحمة بفتيك الى بيض مزرعة الى غير ذلك من حاجيات البيت التى من المفروض أن يتكلم مع البقالة بشأنها من داره العامرة · لا من مكتبه ومقر عمله · قد يتساءل بعض

القراء وما لنا وهذا الكلام ونحن بصدد كتاب عنوانه احذر الأصدقاء ٠ وسنوافقه على هذا من حيث الشكل ٠ أما من الناحية الموضوعية فهذا شيء جرنا الى الاستمرار به استعراض الأصدقاء من هذه الفئة فئة الامعة ٠ وهم فئة كثيرة ٠ فى كل مكان وكثيرة جداً فى زماننا هذا ٠ وقد أوردنا ذكرهم لأنك حينما تعترض على تصرفاتهم ناصحا بصدق يأخذون فى محاولة الاساءة اليك ٠ كالقول بأنك نظامى أكثر مما يجب تظاهر بالاخلاص الى غير ذلكحتى لتأسف أنك محضت النصيحة ٠ لأن بعضهم قد يعدل ببذل الجهد لانجاز موضوع يتصل بعمله ٠ ولكنه عندما يراك فى مكتبه يتبذر وعده ويقول مالا يفعل ٠

« اتق شر من أحسنت اليه »

« صدق رسول الله »

اذكر على سبيل المثال شخصا من هذا النمط قص على قصته رجل من ثقات عصرنا الحاضر والعهدة على الراوي رحمه الله ٠ فيما سنقرأ ٠ قال لى الراوي انه يقول : كنت أعمل فى جهة فطلبت نقلي الى جهة أخرى وبعد أخذ ورد تم لي ذلك لأعمل رئيسا لقسم معين ٠ وذكر الراوي أنه جلس مدة طويلة لم يتسلم خلالها عمله الجديد ٠ وظهر أن السبب فى ذلك ممانعة رئيسه المنقول لديه الذى عز عليه أن ينقل اليه هذا الرجل من الناس فى وقت كان يرشح لذلك القسم شخصا آخر من أقرب المقربين اليه وقال : أتانى

صاحب الرواية المنقول فقص علي قصته ٠ وكنت اذ ذاك مستاءاً من وضعه ٠ فأخذته الى المسئول وشرحت له وضعه ٠ وقلت ان هذا يجب أن يعمل حيث نقل أو أن يعاد نقله ٠ وقد تأثر هذا المسئول تأثراً بالغا مما حصل وأمر أن يسند اليه العمل الذى نقل اليه فوراً ٠ وبالفعل تم ذلك وتسلم الراوي عمله الجديد ولما كانت التقاليد والعادات تقضى بأن يشكرنى على ذلك فانه على العكس من هذا كان جاحداً مغروراً خاصة بعد أن جلس على كرسيه الدوار وأمامه مكتب فخم أحسن بكثير من سابقه القديم ٠ واذا كنت ممن لا يؤاخذ هذا وأمثاله ولا يطلب منهم رد الجميل فاننى لم أتصور أن يناصبنى العداء الذى لا أذكر له مبرراً على الاطلاق وعند مباشرته العمل بدأ بالاساءة الي فقد أهمل فى واجبه وكان مؤاخذاً على هذا التقصير الا أنه حاول أن يتنصل منه وينتحل الأعذار ٠ بل وأن يحملني اياه رغم البعد الشاسع بين مسئوليته ومسئوليتى ٠ وبعد اختصاصه عن اختصاصي مما جعله يفشل فى نتيجة هذه الاساءة فشلا ذريعا ٠ ويظهر على حقيقته من حيث الجهل ٠ الأمر الذى جعل الكثيرين من الزملاء يرددون معي قول الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (اتق شر من أحسنت اليه) ثم ظهر على حقيقته التىكنا نجهلها حيثكان من البارزين فى النميمة وفى الايقاع بين الزملاء بعضهم البعض ولم يقتصر سامحه الله أو يقف عند هذا الحد بل تجاوزه الى أكبر منه ٠ زد على هذا أنه عندما نقل الى

هذا العمل كان أجهل الناس به لولا مساعدة الزملاء له الا أنه رغم جهله فى عمله الجديد كان لبقا فى تغطية هذا النقص فكان يسهر على انجاز عمل النهار بالليل يساعده بعض مخلصيه • لنترك هذا الرجل بجهله وفشله • ولننتقل الى مناصبته العداء لي والتى لا أعتقد أن لها ما يبررها • بل على العكس كان المفروض أن يدعني و شأنى اذا لم يعترف بما بذلت من أجله • ولكن عمله هذا ما هو الا تصديقا لقول الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم « اتق شر من أحسنت اليه » وصدق رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى •

« شهاب الدين وكفى »

يقول أذونا أن ذلك الشخص الذى أحسن اليه فرد له الاحسان بالاساءة • انضم الى زميل له آخر وتعاونا على ما يصلح أحوالهما الشخصية ويحسنها • ودام هذا التكاتف مدة أشرفت على الحولين • ثم اختلفا تمشيا مع المثل القائل اذا اختلف اللصان ظهرت السرقة • أو ظهر المسروق وانقلبت صداقتهما الى عكسها • زد على هذان صدق الراوى ولا أخاله الا كذلك • انهما أخذا يتسابقا الى رئيسهما بالنميمة • ينم بعضهما الآخر ولم يقفا عند هذا الحد • بل تجاوزاه الى الاشتباك فى الأيدى • ثم ظهر أحدهما على حقيقته • فغادر هذه الدائرة أو أرغم على مغادرتها على الأصح • أما الثانى فهو يستعد للرحيل الى جهة أخرى • وهكذا يصدق قول الشاعر :

نزلناها هنا ثم ارتحلنا كذا الدنيا نزول وارتحال

وهذه طبيعة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا · ويجب أن نأخذ عبرة من هذا · وأن نكون دوما بعيدين كل البعد عن كل ما يجعلنا ننكر الجميل وألا نقابل احسانا باساءة · بل نقابله باحسان · وأن نصفح عن الاساءة اذا جاءتنا من أهلها الذين تعودوها وسلكوا فيها مسالك طويلة وعميقة وأن نعترف بالجميل لأهله · وألا ننكر المعروف ·

متى يكون الناس أصدقاء ؟

الناس أصدقائى وأصدقاؤك ولكن متى يكون هذا ؟ يكون هذا عندما يكونوا فى حاجة الى واليك · فهم الأصدقاء الصادقون الأوفياء الشاكرون · هكذا يحبون أن يكونوا أمامى وأمامك عند الحاجة · زد على هذا ما يغدقونه علينا جميعا من الثناء والمديح والاطراء · فيذيل للانسان · وأعنى الذى لم يمنحه الله رجاجة فى عقله ومن لم يجرب هؤلاء يخيل اليه من كثرة ما أغدق عليه منهم من ثناء انه فريد زمانه وانه الرجل الوحيد فى هذه الدنيا · وهذا بطبيعة الحال يزيد الجاهلين من الناس جهلا الى فهم أنفسهم · وغرورا يخرجهم باستمرار عن طورهم الطبيعى · الا من منحه الله رجاجة فى العقل تمثلا بالقول رحم الله أمرء عرف قدر نفسه ·

متى يكون الصديق عدواً ؟

الصديق بالمفهوم العام الناس لا يمكن أن يكون عدواً فهو صديق · واذا صرفنا النظر عن قول الحكماء : عدو عاقل خير من صديق جاهل وتركنا دون مناقشة فلا بد ان نكون مقصرين ومقصرين جداً غير أنه لا تثريب علينا أن نشرح هذا بعد تحديد الصديق الذى ينقلب عدوا فنقول : يكون الصديق عدواً اذا فقدمنكما تعوده من فضل واحسان غير مقدر هو أسباب فقدانه · لذلك فهو يريد منك كل شىء عند طلبه اياه · اما انه يعذرك أو يقدر ظروفك فهذا شىء لا يحتمله لذلك · فصداقته قامت على طمع منه بك فقط · وعندما انتهى ما يطمع به فقد صوابه ففقدت معه هذه الصداقة · الا انك لم تفقد أسباب زوالها من جانبه · هكذا يكون الناس أصدقاء · وهكذا يكونوا أعداء وليت ذلك الرجل من الناس حينما ينسحب من صداقتك للأسباب التي أشرنا اليها · يسكت · ولكنه على العكس من هذا يطلق العنان للسانه العفن ثم يعلل سحبه صداقته بغير تعليلها الصحيح · فيختلق الأكاذيب عليك والأباطيل ضدك · ويرميك بما ليس فيك نتيجة فقدانه ما تعوده من منفعة منك · أفقدته صوابه وتوازنه فأخذ يهذي ظنا منه بهذا سينال من سمعتك · وهو متأكد فى الوقت نفسه انه كاذب · وحينما كنت واجداً للنعمة كان معك وحينما زالت النعمة زال بزوالها كل خلق ان كان عنده خلق · نرجع بعد هذا الى ما سبق فنشرح قول الحكماء ·

عدو عاقل خير من صديق جاهل لا يعرف شيئا غير العاطفة الملتهبة . وانطلاقا من هذا المفهوم الخاطىء عنده واندفاعا منه وراء مفهوم الصداقة . ربما عكس المفهوم المعروف «رب ضارة نافعة» فأصبح ذلك «رب نافعة ضارة» . فهذا الصديق الجاهل قد يجلب لك المضرة من حيث لا يدري . بل من حيث يجزم انه نافع لك لا ضار بك . وهو بدون شك مخلص معك في صداقته . الا انه غير محسن لتصرفه . وغير مدرك لدخائل الامور . فلو أحسن التصرف . وكان . لا يخطو خطوة الا بعد التأكد من موضع قدمه لما تسبب في مضرة صديقه . ولكان مجربا للامور حذراً متأنيا ومدركا . لما كان قيل في حقه : «عدو عاقل خير من صديق جاهل» . فالجاهل هو الذي يجهل الامور ولا يعقلها لأنه لو عقلها لما اتهم بالجهل . ولو أدرك الامور ببصيرة ثاقبة وتجربة طويلة وحنكة ومراس لما كان العدو العاقل خير منه . فالصديق الجاهل لا يحسن صنعا ولا يعي ماهية المسرة ولا اين هي المضرة . ولكنه يعتقد بل يجزم في قرارة نفسه انه صديق . وهذا صدق لا جدال فيه غير أن وسيلة تنمية هذه الصداقة وطريقة ترسيخها وازدهارها بحاجة الى فهم وادراك حقيقيين يمكن معهما ان تكون مثالا يحتذى به متى أحسن التصرف فان العاقبة ستكون حتما وبدون شك وخيمة ضارة تذهب معها بهذه الصداقة من حيث أتت ومن حيث لا يدري هذا الصديق انه اساء . والشاعر يقول بهذا:

اذا كنت لا تدري فتلك مصيبة
وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

أما العدو العاقل فان عقله مهما كانت أسباب العداوة سيرتفع به الى مستوى سامي وسيتجنب ما يسىء اليه · هو من تصرف ينسب اليه · ولن يقدم على عمل ولو انه يضر عدوه الا بعد دراسة · ثم اذا أراد أن يكون ضاراً فيسلك السبيل الـذى لا يلومه أحد فى سلوكه · وستكون المضرة الآتيةمنه مبنية على حـق وعلى عـدل · لأن أى انسـان يتصف بالفعل سيمنعه عقله من المضرة بالآخرين · خاصة اذا كانت هذه المضرة تسىء الى سمعته · ولا أعتقد ان عاقلا سيقدم على عمل يتناقض مع رجاحة عقلـه ويجـد الناس عليه به مدخلا · ولو فعل ذلك لفقد صفةالعقل ولكان جاهلا حاله حال الصديق الجاهل · ومن أجل هذا فرق بين الصديق والعدو · ولا شك والحالـة هذه ان العدو العاقل خير من الصديق الجاهل المار ذكره · وقد أوضحنا بهذا عيوب الصديق الجاهل · ومميزات العدو العاقل · وكيف انـه يسمو بعقلـه وادراكه وفهمه للامور على كـل ما يمكن ان يسىء الى سمعته · أو أن يصبح ضاراً به · وما يمكن ان يفتح عليه بابا هو أحوج ما يكون الى اغلاقه · وعلى كل حال فالصديق الجاهل كما اسلفنا تتوفر لديـه النية الحسنة · والاندفاع نحو اخوانه الآخرين من الاصدقاء · بقصد مساعدتهم ومساندتهم · الا انه بحاجة ماسة وكبيرة الى مران وخبرة فى هذا المضمار لتكون صداقته مبنية على أساس من الخبرة فى الأمور والتجربة والحنكة · لا من العاطفة والاندفاع · ومن

هذا العرض الموجز يظهر بجلاء ووضوح تأمين ان العدو العاقل فى أكثر الأحيان خير من الصديق الجاهل وندرك جميعا من هذا الفرق بين الصديق الجاهل · والعدو العاقل · ومدى الاضرار الناجمة من الرجلين اذا أراد أحدهما وهو العدو العاقل الاضرار · اما اذا ارتفع عن هذا الى مستواه العقلي الراجح فكما أسلفنا سيمنعه سموه العقلي من الاضرار بالآخرين ولن يقدم على عمـل ضـار حتى بعدوه مهما كانت الاسباب · اللهم الا اذا أراد الدفاع عن نفسه فقد يضطر الى التصرف بحكمة تدفع عنه مضرة الآخرين وهو تصرف يحق له ان يقوم به ويقدره الناس عليه· من أجل هـذا كانت الأفضليـة للعـدو العاقل على الصديق الجاهل · وقد أوضحنا أسباب ذلك توضيحا كافيا استعرضنا فيه رأينا حسب مفهومنا · وأدركنا للشخصين · وقد لا يوافقنا عليه بعض من الناس · وان كنت اخال ان هذا هو رأى الأغلبية · يقول الشاعر النبطي :

احذرك خلان الرخى عد قومهم
خلان مـن دامت نعيمـه ودامي

ان ادبرت دنيـاك عدوك معدوم
مروك ما ردوا عليك السلامى

هذين البيتين فيهما توضيح ما بعده توضيح · وتحذير ما بعده تحذير · ولله در القائل لهذا الشعر فلم يقله الا عن تجربـة عميقـة وتمحيص وغربلـة

لأصدقاء الرخاء • وهم عكس أصـدقاء الشـدة • والشاعر هنا لا يحذر عن الأصدقاء من هذه الفئـة فقط • بل يعتبرهم اعداء • بقولـه عدهم قـوم أي احسبهم واعتبرهم من ضمن الأعداء • وهذا هـو مفهوم العربي فى هذا الوقت بالذات • فهم كما أشار اليهم الشاعر أصدقاء من دامت نعمته عليهم • أما اذا فقدوا نعمته فهم اعداء • ويزيد توكيداً لهذا ان زالت عنك الدنيا ونعيمهـا ورغدها فان هؤلاء اذا جاملوك فسيعتبرونك فقيراً مفلسا ولن ينظرون اليك تلك النظرةالتى كنت فيها غنيا بالماضىمن حيثسعة الرزق • فيجلوك ويحترموك • وستفقد بطبيعة الحال منهم ذلك النفاق وذلك الاحترام المبني على الغـش والخديعة وسوف تتغير نظرتهماليك تبعا لتغير دنياك حتى انهم اذا مروا بك بعـد ضعف حالك لن يردوا عليك السلام فقد أصبحت فقيراً ولا حاجة بهم اليك ولا الى السلام عليك • وهـذا شىء ملموس فى وقتنـا الحاضر • أمـا أصدقاء الشدة فهـم الأصـدقاء الحقيقيون وهم ندرة فى عصرنا هذا فهم على نقيض من قال عنهم الشاعر وحذر منهم فى البيتين المشـار اليهما • فهم الذين يواسون عند المصيبة وهم الذين يضحون اذا وجبت التضحية •وهم الـذين يقومون بواجب الصداقة • محافظة منهم على العهد ومحافظة منهـم على التزامهم ومحافظة منهـم على معنى الصداقة • ومحافظة منهم على سمو الأخلاق التى يأبون الانحدار بها الى مستوى أقل • وقد استدلينا

بهذين البيتين لما فيهما من توكيد وتحذير من الأصدقاء ولتو أكد للقارىء الكريم مدى ادراك هذا الشاعر العربي البدوي الأصيل الذى عاش فى صحراء الجزيرة العربية الطاهرة التى انجبت الرجال العظماء · والى مدى فهمه لواقع الحال والى مدى تجربته التى استلهم فيها هذا الحكم الذي يحذر فيه من أصدقاء الرخاء · مؤكداً انهم أصدقاء أولى النعمة فقط · وان صداقتهم هذه مرهونة بزوال منفعتهم مني ومنك ومن غيرنا ·وهذان البيتان فيهما الحكمة الظاهرة وصدق التجربة وعمق التفكير الذى استخلص منه التفرقة بين أصدقاء الرخاء ووجوب التمييز بينهم وبين الأصدقاء الحقيقيين · والشاعر العربي الآخر يقول :

صديقي من يقاسمني همومي

ويرمى بالعداوة من رمانى

هذا الشاعر العظيم ميز بحكمته الصديق بمميزات أهمها انه من قاسم صديقه همومه واتراحه وافراحه · وانه ذلك الذي يفادي من يعادي صديقه ويصادق من يصادقه · وانه ليس ذلك الرجل الذي علق صداقته بشرط المنفعة من جانب واحد فالصديق بمفهوم الشاعر هذا ·هو الذى يشارك صديقه الفرح والحزن ويقاسمه متاعبه · ويسعى لحل مشاكله · والأخذ به بيد العطف والحنان الى ما يخفف عنه آلامه ويحل مشاكله ويحمل معه شيئا من عبئه الذى

أثقل كاهله . كما انه لا بد ان يشاركه مسراته . ولا بد أن يقف بجانبه وقفة الأخ المخلص لأخيه المخلص. يسر لسروره ويسعد لسعادته . ويتأثر لهمه . ولا يقتصر الصديق نحو صديقه على هــذا القــدر مما أسلفناه بل ويعادى من ناصبه العداء .كقول الشاعر ويرمي بالعداوة من رمانى بها وبغيرها مما يسىء اليه وهذا البيت من الشعر هو بدون شك تعبير صادق عند واقع الحال وكله حكمة وان من الشعر لحكمة .كله صدق وكله واجب يقوم به الصديق نحو صديقه .وهو هنا يمثل الحكمة تمثيلا صادقا وصريحا .وفيه من سمو المعانى ومن الخبرة ومن جزاله اللفظ وسهولة المعنى الشىء الكثير . ذلك أنه صادر من انسان له تجربته فى الحياة . وله خبرته . وله مقاييس ومعايير يقيس بها الصديق ويزن بها الناس . ورحم الله الشاعر .

« زيد وعمــر »

كان زيد وعمر مــن الناس صديقين حميمين . وكل من عاش فى زمانهما يدرك مقدار هذه الصداقة بينهما . الا ان الناس لا يعــرفون الاساس الــذى أقيمت عليه هذه الصداقة التى كانت مضرب المثل فى ذلك الزمان . وقد يكون اساسها الحقيقى استغناء كل منهما عن الآخر . ويريد الله ان يعــرف الناس هذه الصداقة على حقيقتها مجــردة مــن كل شىء يحجبها عن الانظار . فقد شــاء الله ان يحترق بيت زيد وان يخرج منه كما ولدته أمه . وتضطره ظروفه بحكم هذه الصداقة ان يهرع لصديقه عمــر ليخبره

بهذه الكارثة ويسأله رأيه فيها ويطلب منه المشورة والنجدة . كما ينشده أسهل الطرق التى توصله الى ساحل السلام . ومأمن الخوف دون ان يفرح عليه اعداؤه بما حصل . وقد كان يتصور من صاحبه وصديقه هذا ان يفعل كل ما فى وسعه وان يواسيه مواساة فعالة وعاجلة خاصة وان عمر بماله من مكانه ممتازة من حيث الجدة وسعة الرزق فما يضيره شيئا لو قدم لصديقه ما يساعده على الذروج من هذا المأزق الحرج . وكان زيد هذا ينظر الى صديقه نظرة كلها ثقة من عونه له . وكيف ل يكون ذلك وهو صديقه الوحيد الذى يعتمد عليه فى كل شىء بل هو الصديق الذى لا يجاريه أحد بين أهل بلدته وأسرته وعشيرته . غير ان ميزان القوى لهذه الصداقة تغير بتغير الحال . فما نفعته صداقته مع عمر بحال من الاحوال . وكعادة الاصدقاء النفعيين امثال هذا قد تخلى عن صديقه زيد تخليا منكراً وكل ما قدمه له أنه قال أرى ان تستعين بأهل البلدة جميعها لعلهم ينظرون الى حالك . وبعد هذا يجىء دورى . غير ان زيداً استعظم ان يمد يده الى أهل البلدة لمساعدته . وهو ذلك الرجل الذى كان من أبرزهم جاها ومالا . غير ان الليالى أرغمته على الأخذ بما قاله صديقه . فمد يده للناس من أهل بلدته الذين وقفوا معه بكل جهدهم وطاقتهم . ولم يدخروا وسعا فى البذل والعطاء مما جعله يخرج من حرجه ومن ورطته التى ابتلاه الله فيها بماله . وعند

هذا الحد · أخبر صديقه بما حصل له من اهل البلدة من مساندة ومساعدة · خففت عنه آلامه فما كان جواب صديقه عمر الا ان قال له · وماذا تريد منى من مساعدة وقد ساعدك جميع أهل البلدة وجمعوا لك المال · أما أنا فاترك مساعدتى لك لوقت وحاجة أعظم مما حل بك · قال له زيد وهل تعتقد أننى سأحتاج اليك أكثر مما أنا فيه من حاجة ؟ قال : نعم قال له لن احتاج الا لوجه الله تعالى · وبعد هذا انسحب عمر من صداقة زيد يجر وراءه اسمال صداقة أسست على غير تقوى · وعلى غير نية صالحة · وعلى طمع وجشع منه لصاحبه · وأسدل الستار على هذه الصداقة الزائفة اسدالا بلا رجعة· وادرك زيد سر صاحبه فتركه · ومن أجل هذه الصداقةوأصحابها الذين أسسوها على الرمال · نقول لك · احذر الاصدقاء ·

« الأقــــرباء »

كان بودى لولا الأمانة تحتم علي الصراحة بالحديث والصدق بالقول ان اتجنب هذا العنوان حتى لا أثير مشاعر بعض الناس من الاقرباء · أيا كانت قرابتهم مني ومنك أيها القارىء الكريم·ولهذا السبب أرى ان الدخول فيه واجب وحتمى على كل من يحب ان يكون صادقا وامينا وصريحا مع الناس على نقل الحقيقة والصراحة ·اللتين يجهلهما الكثير من الناس · وان كنت فى هذا لا اتكلم عن أقرباء معينين

لى ولك وللآخرين · وانما أعطى هـذا الكلام صفـة الشمول بالنسبة لكل من له قريب فأقول : ان بعض المعارف كثيراً ما يكونوا أصـدق وأخلص وأوفى لى ولك من الاقربين وهذا شيء واضح وملموس وظاهر للعيان · والمثل يقول : رب أخ لم تلده أمك وقياسا على هذا فان الكثيرين من الاصدقاء هـم أنفع للمرء مـن أقاربـه وكم فى الاقربـاء مـن لايسرهم مـا أنت فيه من نعمة · وكم منهم يفـرح حينما تحل بك نقمة · وهذا على عكس مايجب ان يكون بين الأقرباء من المودة والعطف والشفقة والحنان والتكاتف على كل ما يعود عليهم جميعا بالخير والمحبة والاطمئنان بعضهم للبعض · غير ان هذه الظاهرة منتشرة بين الناس وهى ظاهرة سيئة وممقوتة ولا يستغرب فى بعض الأحيان ان تتحول الى الحقد والحسـد · ولا اجزم الا ان القارىء الكريم مدرك كل الادراك لهذه الظاهرة التى أصبحت جزءاً من حياة بعض الناس نتج عنها كراهية الأسرة الواحدة بعضهم البعض دونما مبرر لهذا · اللهم الا الضغينة التى استقرت فى بعض القلوب القاسية الحاسدة الفاسدة الجاهلة ولا يتصور أحد ان الأخ فى زماننا هذا يحسـد اخاه ويغار منه ويحقد عليه · واذا كان العرب الكرام فى سالف عهودهم الزاهرة العامرة بالايمان والصدق والتضحية وبذل النفس والنفيس فى سبيل الذود عن واجباتهم وتقاليدهم وعاداتهم من اعدائهم · كانوا متكاتفين فقد عشنا الزمان الذى رأينـا ابناء العم يحسد بعضهم بعضا ورأينا ذلك بين ابناء الخال بل

بين الأخ وأخيه الى درجة من هذه المنافسة وصلوا معها الى المحاكم · وما كان هذا حاصلا بين العرب فى الماضى مهما كانت الخلافات مستحكمة وقوية · وقد يكون السبب أيضا ضعف النفس البشرية · واعتقد انه لو حرص كل واحد منا على الأخذ بتعاليم ديننا الاسلامى الحنيف أخذاً حقيقيا لما انساق الناس الى هذا الحد من الكراهية والبغضاء فيما بينهم ودونما سبب يوجب هذا · وقد يكون من اسباب تفكك الاسرة غرور بعض أفرادها فكثير منهم يرى انه اسمى وأرفع من باقي أسرته · فاذا ما بحثت فى سبب هذا الغرور لم تصل الى السبب الحقيقى · وانما يحدث هذا لدى من يشعرون بمركب النقص فهم بادعائهم هذا يحبون ان يظهروا أمام الناس من خلال هذه التصرفات القاصرة بمظهر العظيم الكبير · أما نوع النقص الذى يحس به هذا فقد يكون سبب جهله وهذا هو الغالب وقد يكون احساس داخلى فيكون تظاهره هذا عبارة عن رد فعل لديه ·وحسد القريب لقريبه غريزة فى بعض النفوس الخبيثة الشريرة والحسد جرثومة قديمة نشأت فى جسم ابليس اللعين حينما حسد ابانا آدم عليه السلام · وأخرجه من الجنة · من أجل هذا فان الحذر واجب مني ومنك ومن كل انسان نحو ذلك الذى يظهر بلسانه ما ليس فى قلبه · حتى ولو كان هذا من الأقرباء · فيجب ان تحذر منه والحذر من بعض الأقرباء صفة ممتازة ان كانت مصحوبة بعقل وتمييز لا يفهم معها انك حذر منه ·

واستميح الاقارب عذراً أيا كانت قرابتهم مني ومن غيرى بهذه الحقيقة المرة المؤلمة · وهم أدرك الناس لهذا الواقع المؤلم المؤسف والمشاهدة للعيان فى كل مكان · ولا اخالهم منكرين ذلك·سائلا الله جل وعلا ان يهدينا جميعا سواء السبيل · وان يجنبنا الحقد والحسد وان يطهر القلوب مـن كل حقـد وضغينة وكراهية ·

« نموذج من كلام الأصدقاء »

أصدقاء القرن العشرين لهم مميزات خاصة · امتازوا فيها وعرفوا طريق الصداقة الموصل الي واليك · وفى الوقت ذاته عرفوا الطريق الآخر الذى يهربون منه عني وعنك · والشـاعر يقـول :

صلى المصلي لأمر كان يطلبه
لما انقض الأمر لا صلى ولا صاما

يقابلك هذا الصديق المستجد فيهز رأسـه لأول مرة · وهذه الهزة ولا أقصدالهزة الأرضية · هى من تقاليد العصر الحاضر السائدة بـين الكثير من الناس · وعلى وجـه الخصـوص مـن يتطلع الى الصعود لدرجات الدجل والنفاق · أمـا الذين هم أكثر من سابقيهم تواضعـا فيرفعوا أيديهـم لاداء التحية · تعبيراً عن صداقة ابتدعوها وأسسوها على الماء ان كان الماء يحمل فوقه أساسا · وان جاز هذا التعبير · والناس مدركون ان كل ما يبنى فوق الماء مصيره الانهيار سواء كان علاقة ام بناء · وما هى

النتيجة لقوم يؤسسون منازلهم على الماء ٠ ان هؤلاء يختلفون كل الاختلاف عن الاصدقاء الصادقين ٠ أو الكرام الذين خلقهم الله ٠ وما أصدق قول الشاعر العربى شاعر اليمامة وربيب منفوحة الأعشى ـ أبو يصير ميمون بن قيس ـ فى مدحه للأسود بن المنذر ذلك العظيم من العرب الذى قصده الشاعر فوجده عند حسن ظنه فامتدحه يقول مخاطبا ناقته :

لا تشكي الي من ألم النسع
ولا من حفا ولا من كلالي

فرع نبع يهز فى غصن المجـ
ـد عزيز الندى شديد المحال

عنده الحزم والتقى وأسا الصر
ع وحمل لمضلع الأثقال

وصلات الأرحام قد علم النا
س وفك الأسرى من الاغلال

وهو ان النفس العزيزة للذكـ
ـر اذا ماالتقتصدور العوالى

وعطاء اذا سألت اذا العذ
رة كانت عطية البخال

ووفاء اذا أجرت فما غر
ت حبال وصلتها بحبال

أريحيي صلت يظل له القو
م ركوداً قيامهم للهلالي

الى أن قــال

أنت خـير مـن ألف من القـــو
م اذا ما كبت وجوه الرجالى(١)

قد يقول قائل أو يسأل سائل وما لنا وللمديح · وما دخل هذه القصيدة بالحـذر مـن الأصدقاء · وسيكون الجواب كما يدركه من يحب أن يتجاهله · ان هذا نموذج نسوقه ليعرف الناس كيف كان العرب فى ماضيهم من حيث الوقوف بجانب الصديق وبجانب القاصد الوافد · ولا بد من أن نســأل بدورنا على الأخص من يقول: ما لنا ولرجل يمدح آخر يقدر عطفه وعطاءه · نسأله فنقول :اين من يماثل الاسود بن المنذر فى كرمه ووقوفه بجانب المحتاج · وربما كان الجواب انهم كثيرون · ولكن الحقيقة تقول : انهـم كثيرون بمالهم فقط · قليلون بكرمهـم ووقوفهم مع القاصدين اليهم والمحتاجين لهم · هذا شاعر قصد عظيما من الناس لم تكن بينهما الصداقة الكافيـة بل دفعته الحاجة اليه فطرق بابه فوجده مفتوحا لكل قاصد ولكل محتــاج · فمـا بالك بالاصدقاء الذين يوصدون أبوابهم دون أصدقائهم · وما بالك بالنوع الآخـر من الأصدقاء الذين ينظرون اليك مـن خلف العين السحرية المثبتة على باب دار كل منهم · هذا الرجل منهم ينظر اليك مـن خلف المنظار فيرجع الى غرفته وينام دون ان يفتح لك بابه · ولكنـه حينما

---

(١) ديوان الاعشى ·

يقابلك فى الطريق يأخذ بيدك ويؤكد لك ان تزوره لأنه مشوق الى رؤيتك ولأنـك ـ وحشته جـداً ـ وكأنه بكلامه هذا لم ينظر اليـك بالأمس مـن خلف العين السحرية · ثم يعود الى غرفته كاتما أنفاسه مختبأ عنك · هذا الرجل ان استحق هـذا الاسم ولا اخاله مستحقا له · احذره يارجل وابعد عنه وعن داره · وكن بعيداً كل البعد عن عينـه السحرية الموضوعة على بابه ليراك منها · انه رجل درس التملق فاتقنه واجاده · ودرس الغـش فبرز فيـه · ومشى على طريق النفاق · فما زال فى الطـريق ليبلغ منتهاه · لا يخدعك بمعسول الكلام ولا بضحكته الصفراء ولا بشد يده على يدك ملحا عليـك بضرورة زيارتـه · وتشريف محله العامر · ان مثل هذا يجب الحذر منه والبعد عنه · بالقدر الذى لا يراك ولا تراه ·

« لمـاذا نحـذر الأصدقـاء »

لا بد لنا من الحذر مع كل الناس · ومع الأصدقاء اذا وجدوا حتىولو كانوا أصدقاءحقيقيين لا كأصدقاء هذا العصر · ولأن الصديقأعرفمن غيره بصديقه ولحقيقة أمره وأسراره · ومن أجل هذا فانـه من غير المؤكد أن تستمر هذه الصداقـة مدى الحيـاة · وقد يختلف الأصدقاء فيما بينهم فيفضي كل منهم بما يعرفه عن الآخر · وان كان لا يستفيد من الاباحة به أحـد · وقد يكون فى معرفة بعض الأصدقاء لبعضهم ما يؤدى للأذى عند اختلافهم وسواء أكان المسـتفيد من الأذى هو الصديق أم شخص آخر · وقد لا يكـون محتملا أن

يستفيد الشخص الآخر · ورحم الله الشاعر اذ يقول :
مصائب قوم عند قوم فوائد ·

العدو لا يعرف عنك من حالك ما يعرفه صديقك عنك وعن حالك وما أنت عليه لأنه بعيد عن معرفة ما أبدت به لصديقك · وبعيد عن معرفة أسرارك ، فهو لا يعرف سريرتك ولا يعرف منك غير ظاهرك ومعرفة الظاهر لا تكفى لمن يريد بك مضرة أن يصل منك الى هدفه وغايته · لذلك تجده يلهث وراك مستطلعا ومتقصيا حقيقتك · وباذلا الجهد فى سبيل معرفة عيوبك وحقيقة أمرك ليتسلح بذلك الاجهاز عليك عند الهجوم · وكثيراً ما يبذل ماله وجهده فى الحصول على ذلك · وتجده منهمكا على عكس صديقك الذى انتهت صداقته معك فتحصل على كل ما يريد دون ان يلهث وراءك ودون ان يبذل أقل جهد ممكن فى سبيل مايسعى اليه عدوك · ذلك لأنه قد سلب منك معرفة حقيقتك فى غمرة الثقة بالاصدقاء · وفى غمرة الاندفاع مع الاصدقاء · وفى غمرة حسن النية مع الاصدقاء فأصبح رغم تركك صداقته كأنه واقف مدجج بالسلاح فوق رأسك تخشاه ان يقول عنك ما يعرفه · وتخشى ان يفشى سراً أبحت له به · وتخشاه ان يأكلك من حيث تؤكل الكتف · هذا هو الصديق الذى كنت تودعه سريرتك · وهذا هو الصديق الذى كنت تخدمه وتبذل له وهذا هو الصديق الذى أسس صداقته على طمع بك · وهذا هو الصديق الذى انتهت صداقته · وهذا الذى يقول فيه الشاعر :

فلربما انقلب الصـــد يق فكان أعرف بالمضرة

« الصديق الذى لا ينفع وقت الضيق »

يقول الشاعر :

كلانا غنى عــن أخيــه حياته
ونحــن اذا متنــا أشـــد تغانيا

ان من الشعر لحكمة • ما أصدق هذا الشاعر وما أعظمه • انه لشاعر حكيم • ورجل فهيم • لم يقل هذا الشعر عن غير تجربة • ولم ينسجه الا بعــد خبرة • انها خبرة الاصدقاء ومعرفتهم على واقعهــم عنــد الملمات • لا معرفتهم فى أوقات الــرخاء • والصديق الذى لا ينفع فى الحياة • فماذا يرجى منه بعد الممات ؟ لا يرجى منه نفع ولا خير بعد مماته • ولا يرجى منه ما كان يؤمل منه فى حياته ـ النفع فى الدنيا ـ أما الآخرة فلا ينفع صديق صديقــه • ولا يرجى ذلـــك فمــا فى استطاعته ان يعمل شيئا • والشاعر هنا يقــول أنا وأنت غنيان عن بعضنا فى الحيــاة • أنت غنى بحالك وأنا غنى كذلك • لا أرجو منك معونة فى الدنيا ولا أنت بحاجة الى معونتى • لا ترجو منى دفع معتد عليك • ولا تطمع منى بشىء فى هذه الحياة التى أغنى الله فيها كلا منا عن أخيه • وجعله لا ينظر اليه • طامعا منه فى شىء فى هذه الحياة التى نعيشها • أما بعد الممات فلا ينفع مال ولا بنون • متى رحلنا من الدنيا • بهذا الرحيل تنتهى حاجة كل منا للآخر نهاية لا عودة فيها • بل ان

استغناء الصديق عن صديقه بعد مماته شيء حتمي وهو أشد درجات الاستغناء · فماذا يمكن ان يقدمه ميت لميت ؟ لا شيء بطبيعة الحال يمكن ان يكون من ذلك · هل يا ترى للذى عجز عن تقديم النفع لأخيـــه وصديقه فى الحياة ان يقدم لهم شيئا بعــد مماته ؟ فى الآخرة كل غنى عن الآخر · ولن يكون للمرء بعد موته غير عمله الصالح فقط الذى اختص به نفسه · أما ما عدى ذلك · فقد تركه فى دنياه لمن بعده · ولم يذهب معه الا الذى عماه فى حياته · ان خــيراً فخيراً · وان شراً فكذلك · فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره · ومن يعمل مثقــال ذرة شراً يره · الــذين لم يقدموا لاصدقائهم خدمة أو عملا نافعا فى حياتهم لا يرجى منهم ان يفعلوا شيئا بعد الممات · اجزم انك أيها القارىء ستقول لا يمكن ان يكون شيئا بعد الممات من النفع للصديق · واذا كنت حتى فى حياتك لم تقدم لصديقك عملا نافعا فى وقت تستطيع انتعمل له كل شىء فهل يطمع منك بدفع شر عنه أو جلب خير له · ستقول أنت بطبيعة الحال لا لأنك وقفت بعيداً عنــه فى وقت كان هــو أحوج الناس اليك بالوقت الى جانبه مواسيا ومدافعا عنـــه ورحم الله الشاعر القائل :

سلام على الدنيـــا اذا لم يكن بها
صديق صدوق صادق الوعد وافيا

اى والله الصادق كل الصدق فى شعره · أجل يا أخى سلام وسلام على دنيا لا يوجد بها صديق · سلام على دنيا لا يوجد بها صدوق · سلام عليها اذا لم يكن

بها صادق الوعد وافى العهد · رعيا للذمم · هذا قول شاعر قديم فماذا يقول الشاعر : فى عصرنا الحديث ؟ اذا كان هذا هو احساس الشعراء القدامى الذين كان عصرهم عصر الصدق عصر المحافظة على الوقوف مع الاصدقاء وغيرهم الى أبعد ما يمكن ان يتصوره انسان · عصر الشهامـــة · عصر الحميـــة · عصر الرجال الـــذين اذا قالوا فعلوا واذا وعدوا صدقوا واذا أءتمنوا لم يخونوا · فى ذلك العصر يودع الشاعر دنياه ويقول : سلام عليها وعلى أهلها لأن الصديق والصدوق وصادق الوعد قليلون · هذا الشعر الذى قاله الشاعر · فى الوقت الذى تظن أنه لا يوجد فيه الا الصادقين · فما بالك فى الدنيا فى هذا العصر ؟ ليت شاعرنا هذا يطل علينا وعلى دنيانا الحاضرة · ليؤلف كتابا من الشـــعر عـــن انعدام الأصدقـــاء الصادقين وليسلم على دنيانا الحاضرة · ليته يطل علينا ولو لمدة وجيزة يتلمس خلالها مواطن الصدقات · ويرى بعينيه ويتأكد بنفسه انـــه عاش فى عصر كله صدق · وكله تضحيـــة · وكله فداء · وكله وفاء للاصدقاء · ليته حين يطل علينـــا يرى الأصدقاء الاصطناعيين ان جاز هذا التعبير · ليتـــه يرى ويسمع ويجلس معنـــا ليقول رأيه فيما يراه · ويقول رأيه فيما يسمعه ويقول رأيه فى مجالس الأصدقاء · اعتقد انه لو أطل علينا ، وعرف حقيقتنا ودرس تصرفاتنا كأصدقاء لبعضنا · اعتقد انـــه سيعـــود مسرعا وان يكتفى بمـــا رآه عن

الجلوس معنا وعن الاستماع الينا · وعودته كافية بعد زيارة أصدقاء القرن العشرين ·

« أصدقاء المصالح »

ما أكثرهم فى كل مكان وزمان · أصدقاء كما يسمون أنفسهم · ستجدهم فى كل مكان فى كل مصلحة ، انهم جهزوا أنفسهم لتقديم هذه الصداقة بكل ما يشدهم وراءها من غش وخداع ومكر · وسرعان ما ينفضون من حولك (كأنهم حمر مستنفرة · فرت من قسورة) ولكن متى يكن هذا الانفضاض · ومتى كان قبله التأليف · ولتوضيح ذلك نضرب مثلا لك أيها القارىء الكريم · هب انك كنت صاحب جاه أو مال · ستجدهم أمامك وستحس انك ولدت بينهم وعشت معهم عمراً طويلا · بما يؤكدونه لك من حب وصداقة واعجاب · وستخدع نفسك كما خدعوك وتظنهم كذلك واذا استمر بك الحال من الجاه والمال دون أن يدركوا منك ما أملوا به ستلحظ جزر بعضهم عن المد · وان لم يكن بصورة مباشرة · وسترى بعضهم ينقل اليك عيوب الآخرين · وان كنت ذا عمل ومسئولية فسينقلوا اليك عن زملائهم عدم الاخلاص لك خاصة عند فقدانهم ما كانوا يظنون انهم مدركوه منك · وان عرفوا عنك الحزم والاخلاص والامانة فى العمل ايقنوا انهم قد خسروا اطماعهم فمنهم من ينزوى ومنهم من يعمل ضدك · لتشويه سمعتك على الاقل · لماذا ؟ لأنك لم تحقق لهم مأربهم أو لأنك لم تقف معهم لمضرة شخص

لا يحبونه · أو لأنهـم فشلوا فى الوصول الى غايتهم الدنيئة · ثم اذا جرى ما يوجب تركك العمـل خرجت وحدك · ولـم يودعك اولئك الذين اسقبلوك بالامس القريب · ولم تر احداً من الاصدقاء · وقد تخرج منهم مذموما لأنك ـ هداك الله ـ لم تأتى لهم على ما يريدون ولأنك لم تساعدهم على تنفيذ مأربهم · لهذا أدركوا منك هذا فتحولوا عنك · وان قابلك أحد منهم فى شارع أو غيره صد عنك · أو أرخى رأسه للأرض · أو تجاهلك كلية كأنه لم يعرفك من قبل · أو رجع الى ما كان عليه قبل ان تعرفه · كما يقول المثل : « ردت حليمة لعادتها القديمة » انهم أصدقاء أنفسهم ليسـوا أصدقائى أو اصدقائك لأنهم لو كانوا كذلك لدامت صداقتهم ولأنهم لو كانوا أصدقاء لاستمرت المحبـة والألفـة · أين سياراتهم التى كانت تتسابق الى دارك للزيارة ؟ لقد اتجهوا نحو غيرك · الى من خلفك · وحولوا صداقتهم اليه · غير انها لن تدوم الا بالمقدار الذى دامت لك ثم تتجه الى من يخلفه بالعمل · وهكذا هؤلاء من الناس لا ينكر وجودهم أحد · بل العكس هو الصحيح · انهم كثرة كثيرة · موجودة فى كل زمان ومكان · مستعدون لتقديم انفسهم كأصدقاء · كما انهم مستعدون لسحب هذه الصداقة متى لم ينالوا مأربهم منك ومتى عرفوا عنـك أو عن غيرك ما اسلفناه من حـزم وصراحـة واخلاص فى العمل · وامانة فيما أئتمنت عليه · هذه الفئـة ممن يدعون الصداقـة · احذرهم فليسـوا أصدقاء ·

« مديـــح الأصدقـــاء »

ظاهرة طبيعية مـــع الاســـف الشديد · برزت فى عصرنا الحاضر متأصلة فى كثير من المنافقين والذين فى قلوبهـــم مرض · يخلعون علي وعليـــك الأوصاف والمناقب والاطراء لنلبسهـــا فى أى فصل من فصـــول الشتاء والصيف · حتى ولو كانت طريقتنا غير سليمة وغير صحيحة · انهم يطلقون المديح والثنـــاء بدون مناسبة ويشهدون لنا بكل ما هـــو جميل ومستحسن حتى ولو كنا على عكس ذلك مما يجعل البعض ينخدع ويظن ان ما سمعه حقيقة فيستمر بعمله هذا الـــذى يرتكب فيه الخطأ تلو الآخـــر · ولكن انى لبعضنا ان يعدل عن عمله هذا حتى ولو كان على غير صواب · وهو قد سمع باذنه ما قاله المنافقون وما زينوه له من مديح جعله يتأثر من نفسه المخدوعة ولـــم يعرف انه على غير ذلك · لأنهم شهدوا له بكل شىء شهدوا له بالصـــواب · وهـــو مخالف جادته · وشهدوا لـــه بالاخلاص وهو ان كان كذلك لم يعرف الطريقة التى يصل بها الى الاخلاص ·

« ذم الأصـــدقـــاء »

حينما تتفصل علاقتك ببعض الناس وبينهم مـــن تظاهروا بالصداقة لك · تفاجأ بانفصام ما كان بينك وبينهم من العرى التى كانت قوية مـــن قبل · واذا استقبلوا غيرك صديقا بدأوا فى ذمك وهـــم مدركون

تمام الادراك انهم كاذبون فى قولهم • غير انهم تعودوا النميمة والغيبة اعتقاداً منهم انها تقربهم زلفى عند هذا الصديق الجديد الطيب الذى لم يعرفهم على حقيقتهم • ولا عجب اذا تغير هؤلاء عليك • فهذه حال الدنيا • وهذا هو حال المنافقين وهذا هو حال كل لئيم • ولا تغضب اذا سبوك أو افتروا عليك فهم مستعدون ان يسبوا الصديق المنتظر • وهم يسرفون بالسبابة بعد تركه صداقتهم • أو اذا رحل عنهم اسرافا نابعا من نفوسهم الخبيثة • ورحم الله بركات الشريف الذى يقول فى قصيدة له يوجهها لابنه ناصحا له من هذه الفئة • يقول :

من سب لك سبك ولاقيه تشكيك
ما انتب أعز من الجماعات ذولاك

عندك حكوا فينا وعندى حكوا فيك
أصبحت كارهنا وحنا كرهناك

واعوذ بالله ان أكره أحداً بسبب ما نقله لى عنه واش • وأعوذ بالله مرة أخرى ومرات أن يكرهنى أحد بسبب ما نقله واش عنى كاذب علي • وألف رحمة من الله على هذا الرجل الذى أوجز فأوضح فى هذين البيتين ما يمكن اعتباره درسا لكل من يجهل الامور ولكل من لم يجرب الناس ولكل من لم تؤدبه الليالى • بيتان من الشعر • فيهما النصيحة الواضحة وفيهما الحقيقة • وفيهما آثاراً للتجربة الأصيلة لرجل عركته السنون وصقلته الحياة وعرف الناس على واقعهم •

عرفهم مجردون من كل ما يجب الرؤية عن الأنظار ٠ وعرفهم من خلال السحب الكثيفة من خـلال الضباب ومن خلال كل ما يحجب النظر ٠ وهذا هو واقع حالنا فان من سبك عند شخص ٠لا بد ان يسب ذلك الشخص عندك ٠ عادة تأصلت فى نفوس المرضى من الناس من ذوى القلوب المريضة ٠ ويؤكد الشريف بركات رحمه الله ان هذا الرجل الذى يسبنى ويسبك قد سب غيرنا ولا شك ان هذه الفئة الحقيرة تثير البغضاء بين أناس لم يقولوا ولم يكن نصيبهـم غير العداوة بـين بعض بطريقة غير مباشرة ٠ انهم اولئك الذين يتظاهرون بصداقتى وصداقتك حين تجتمع بهـم أو تقابلهـم ٠ وقول الشريف بركات شعراً هو تحذير لنا منهم ومن الاقتراب منهم ٠ تحذيراً وترغيبـا فى الابتعاد عنهـم ومنهم لأنهم قوم منافقون ٠ لا يستطيعون العيش بدون هذه النميمة الوضيعة مهنة السب ٠

« الصديق الثعلب »

يعطيك من طرف السـان حلاوة
ويروغ عنـك كما يروغ الثعلب

ما ترك الشعراء حقيقة الا وقالوا عنها باسلوب منطقى واخاذ ٠ ولو أردنا تطبيق معنى هـذا البيت من الشعر لما وجدنا أنسب له من عصرنا هذا ٠ وكأن قائله بما يملكه من احساس الشاعر وما تخيله يريد منا ان نطبقه فى هذا العصر ٠ انـه شـعر جميـل ٠ احتوى على الحقيقة التى هى الشعار المرفوع فى هذا

الوقت حقيقة النفاق وحقيقة المكر والخديعة واللامبالاة · وقد شبه الشاعر ذلك الرجل المكار المخادع المراوغ بذلك الحيوان الذى عرفت عنه الخديعة والمكر · وهو تشبيه لا يمكن ان يوجد أحسن منه · ولم يتكلف الشاعر بالبيت عما يتشابه هذا الثعلب المراوغ بل أتى به من البيئة التى عاش فيها · ويظهر لنا ان خبرة الشاعر لم تقتصر على معرفة الرجال بل ما يشابههم من الحيوان الغير ناطق · كأن هذا الشاعر عاش بين ظهرانينا وخالط الناس فى منازلهم وفى أسواقهم · وفى مكاتبهم ومتاجرهم · وهو يصف الاصدقاء ويحذرنا منهم · كأنه يحذرنا حينما قال : يعطيك من طرف اللسان حلاوة وكلاما منسقا جميلا · غير ان واقعه مخالف لهذا مخالفة صريحة وواضحة · فهو حينما يجد الجد لا تجده ولا تجد الحلاوة التى كان يوزعها من لسانه فى ساعة الرخاء · وهو فى اختفائه عنك وقت الحاجة يروغ مراوغة الثعلب الذى تجده أمامك ثم لا تلبث ان تجده خلفك · وقد لا تجده · والاصدقاء من هذا النوع موجودون بكل مكان موجودون بالمنازل وبالمكاتب والأسواق والمتاجر وفى كل مكان · انه ينبهك الى الثعلب الصديق لذا يجب ان تحذر من الثعالب البشرية ·

« اظهار المحبة »

فى زماننا الحاضر ما يكاد يتعرف بك رجل ولو لمدة قصيرة حتى يقول لك انه الوحيد الذى يحبك وانه

الوحيد الذى يفديك بكل شىء · ومن هذا المسلك الجهنمى ننذدع كما انخدع غيرنا وتصدق هذا الكلام وتسرع الى سجل الاصدقاء لنضيف هذا الصديق الجديد من ضمن اصدقائنا · وذلك بعد الوهم الذى سيطر علينا بهذا التسجيل للخديعة التى انطلت علينا من ذلك الرجل أو بسبب تغفيلنا على الأصح · ذلك الصديق الذى جرت صداقته منا مجرى الدم فى الجسم · ولقد كنا أغبياء بطبيعة الحال لذلك الاستسلام بدون قيد أو شرط لهذا الغازى الجديد · فلم نقاومه بالفحص والتجربة · ولم نحاول شيئا من ذلك وانما اكتفينا بما قدمه لنا من كلام معسول · ولباقة فى روايته حتى أدرك انا أغبياء وسذاجا · أدرك انه يسيطر علينا · والا فما يضيرنا لو فحصناه وظهرنا من هذا الفحص بنتيجة نبنى عليها أساسا متينا لهذه الصداقة ؟ ماذا يضرنا لو تحرينا عن هذا الرجل وعرفنا تاريخه وعلاقاته بالآخرين قد نكون فيما عملناه بهذا الاندفاع نهدم الصداقة ولا نبنيها وهذا هو واقع الحال الملموس · حسن النية+جهل+ طيبة = انخداع · أما لو كنا على عكس من هذا وكان لدينا حذر وفهم وتجربة لكانت النتيجة ـ نصاحه ـ لذلك كثيراً ما ترى الضحايا فى عيد النحر · غير ان هذه الضحايا تختلف عن الاضاحى الحيوانية · شىء واحد يحدد الاختلاف بين اضاحى العيد وغيرها من الاضاحى هو ان الاخيرة أضاحى ناطقة تمتاز عن الاولى بالفهم الردىء والجهل وحسن النية وطيب القلب الى درجة التغفيل ·

« التصـــديق »

لا أقول الكل وان كنت أقول الجل منا يصدق ما يقال له تصديقا غريبا لم يبنى أساسـا على معرفـة الأمور على واقعها · وهـذا ناجم كمـا أسلفت عن عوامل كثيرة لعلى أوجزتها فى ختامى عنوان اظهار المحبة · ولا أجدنى الآن بحاجة كبيرة الى ان أزيد فى الايضاح · والناس مختلفون فى فهمهم وخبراتهم · فالجل منهم كما اشرت على أتم استعداد لتقبل مـا يقال لهم دون مناقشة أو تأكد من ذلك · على أسس سليمة · ولا يمكن ان نجـد مبرراً لهـذه السرعة فى التصديق غير جهلنا وعدم التمحيص لبواطن الامور· مع الاستهانة فى معرفة حقائق الناس واسـباب مـا يظهرونه لنـا ممـا هـــو مخالف لحقيقـــة مـا فى صدورهم · قد يأتى فلان فيقول لنـا ان فلانا عمل كذا وكذا · وانه نتيجة لهذا حصل كذا وكذا · وعند هذا القول نؤمن به ولا نعترض عليه ولا نناقشه · ونخشى اشاعته بين الناس حتى ولـو ترتب عليـه اضرار بالآخرين · ولا نراقب فيما نقوله شيئًا · ولا نخشى أحداً مهمـا كان · بيد أن التريـث بالتصديق واجب ومحتم علينا بأن نتأكد قبل كل شىء ونتحرى الحقيقة والصواب · وقد قـال الله سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» وانطلاقا من مفهوم هذه الآية الكريمة أرانا ملزمين الزاما بتحرى الصدق والواقع ولا تشريب علينا بعد

ذلك من التصديق بما قيل ويقال بعد القناعة بصحته وواقعه • وهذا الاقتناع منا بما يقال دون مناقشة له خطره الداهم بفصم العرى القوية التى تربط بيننا وبين الآخرين • ومن هذا الاندفاع والتصديق فاننا نفقد بدون شك حق الاصدقاء • فعندما يأتى شخص كاذب وينسب الى أحد أنه قال شيئا لم يقله وتصدق به • من المحتم بهذا التصرف الذى جانبه التحرى والتأكد اننا نخطىء فى عملنا هذا • والمحتم علينا ان تكون أقوالنا واعمالنا مبنية على أساس من القوة حتى لا يهز البنيان أية ريح عاصفة •

« شرف الكلمة »

كان الناس محافظون على شرف الكلمة فى كثير من الاوقات • صادقى القول يتساوى فى ذلك القريب والبعيد والصديق والعدو • ذلك ان بيئة الانسان هى المنطلق للحفاظ على ذلك • وفى الماضى كان حرص الناس على الوفاء بوعدهم وعهدهم الأساس الذى يبنون عليه علاقاتهم مع بعض أيا كان اختلاف هذه العلاقات • غير ان الحرص على الوفاء بذلك أخذ يضمحل مع مرور الزمن حتى شارف على الانقراض كلية ان لم يكن قد انقرض فعلا اذا ما قيس بالزمن الماضى • وذلك بين الغالبية من الناس • وقد جاء شىء آخر حل بدلا عنه • ذلكم هو الكذب المدروس المحكم فى كثير من الاوقات فقد حل محل الصدق فى القول والمحافظة على الوعد والعهد • وأصبح من ضروريات حياة الكذابين

لأنها لا تقوم بدونه ولا تستقيم الا به · وهى استقامة من قبيل الأضداد · أى انها استقامة حياة الكذابين فقط · وقد أصبحت المحافظة على صدق الكلمة وصدق المعاملة بالدرجة السفلى من تعامل الناس فيما بينهم · والذى لا يكذب فى معاملة الناس ولا يغش فليس فى نظرهم الا المغفل أو الذى لا يفهم أو بالتعبير العامى « درويش » أو « بن حلال مصيف » والعهدة فى هذا على رواة الامثال · ويتعيب الغالبية من الناس ان يكونوا صرحاء فى قولهم ومعاملتهم مع الآخرين فنراهم أكثر الناس هرولة يحثون الخطى فى مشيتهم مع شوارع الكذب ودروب الاعوجاج · فهم كما أسلفت تعودوا الكذب ودروب الاعوجاج · وتعاملوا فيما بينهم به · فاذا هم والحال كذلك · من الصعوبة بمكان ان يتركوه ويسلكوا طريقا غيره خشية ان يرموا بالغباء وقلة الفهم والدروشة ولذلك لا يريدون طريقا غيره ·

« التفنن بالكذب »

يقول الشاعر : وللناس فيما يعشقون مذاهب ·
ويقول شاعر آخر : لكل امرى من دهره ما تعودا
ويقول ثالث : وكل اناء بالذى فيه ينضح ·

والمذاهب هنا هى الطرق ولكل انسان فى هذه الحياة مسلكه الذى تعوده بصرف النظر عن صحة ذلك السلوك من خلافه غير ان من ظواهر العصر الحديث امعان الغالبية بالكذب والخبرة فى مسلكه

خبرة تحاكى الصدق عند السذج من الناس ٠ واذا بحثت فى اسباب ذلك ومدى خطورته علىالناس وجدت انها سلعة متداولة بين الكذابين منهم ٠ واربحهم فيها ذلك الذى يحسن التصرف بالبيع ٠ وهو بطبيعة الحال من تجار هذه السلعة الرخيصة ٠ لذلك فليس من السهل علاج هذا المرض بأى نوع من أنواع العلاج لأنه استشرى بالجسم وملأه بجراثيمه ٠ وليس من الممكن علاجه ٠ وحتى لو وجدنا الطبيب النطاسى فمن غير المؤكد ان يفيد فى علاجه ٠ ولا سبيل لقطعه الا بالوقاية منه ٠ والوقاية خير من العلاج ٠ والسالكون فى هذا الطريق هم فى العادة أصحاب أغراض معينة وعلى هذا الاساس فهم حسب عادتهم وواقعهم معذورون بهذا المسلك لأنهم سلكوه أما من صغرهم وأما لقضاء مأرب من ورائه ٠ والمثل يقول : من شب على شىء شاب عليه ٠ نسأل الله ان يلطف بنا وان يبعدنا عن الكذب ودروبه وعن تلك الفئة والا يجعل لهم علينا سبيلا ٠

« غباء الكذابين »

ليس من الضرورى ان يكون الكذابون اغبياء ٠ غير انه من المألوف غباء الكثرة منهم ٠ فالكذاب حينما يكذب يجزم انه أوهم المكذوب عليه بأنه صادق فيما يقوله ٠ وان ذلك المكذوب عليه قد اقتنع بما قاله الكذاب وهذا غباء واضح من الكذاب نفسه ٠ ولا يستبعد ان يكون هذا الغباء ممزوجا بشىء من

السذاجة وعدم الادراك لما يترتب على هذا ٠ فالذى يكذب مرة وثانية وثالثة ورابعة لا يمكن الا ان يظهر للناس ولنفسه انه كاذب ٠ ومن هنا تنكشف حقيقته ويعرف الناس الذين يجهلونه من قبل ٠ والكذابون أنواع يختلفون باختلا فـمذاهبهم ومقاصدهم ٠ وكل يكذب بما يضنه ٠ والشـاعر هنـا يعـدد اختلاف المقاصد بقوله : كل من فى الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات ٠

واختلاف شبكات الصيـد جاء لاختلاف المصيد فالذى يصطاد صقراً كالذى يصطاد عصفوراً وهلم جر ٠ واذا كان الكذب ممقوتا فى كل زمان ومكان فان بعضه قد يكون مقبولا ٠ الى حد ما وبعضه لا يتحمل على الاطلاق ولا يمكن ان يصدق به ٠ وهنـاك مثل عامى يدور حول كذاب يطلب من زميل له ان يصدقه فى كل ما يقول ٠ فجلس هذا الكذاب ينسج من خياله ويسأل رفيقه عن كل كذبة يطلقها ٠ أليـس ذلـك صحيحا ؟ ٠ وكان فى مجلسهم بعض من الناس ويجيبه صديقه أى نعم حتى طفح الكيل فأطلق كذبة عز على صديقه اجازتها ٠ وتصديقه ٠ وكرر عليـه الكذاب أليس ذلك بصحيح ؟ فتردد زميله وسكت قال الكذاب رقع « يا فلان » قال له زميلـه : « هذا شىء ماينترقع » ٠ واغلب الكذابين فى هذا الزمان مـن النوع الـذى لا ـ يترفع قوله ـ وأصبح الكذب كما أسلفنا ضرورة من ضرورات الحيـاة الزائفـة للكذابين ٠ وهم لا يـ ستطيعون العيش بدونه ٠ ولـو تركوه لأصبحوا

كالسمكة حينما ينحسر عنها الماء تفغر فاها ثم تموت ولما استطاعوا ان يعيشوا عيشة الشرفاء الصادقين فاحذرهم واحذر الأصدقاء المتقلبين· والله هو حسبى ونعم الوكيل · ومنه استمد العون والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ·

وقد تم بعون الله تعالى تأليف هـذا الكتاب والله الموفـــق ·

·······●·······

خطـــأ	صـــواب	صفحة	سطر
أوهي	أوهى	٧	٦
التيى	التى	٩	١٩
يبـد	يبدى	١٤	٣
شىء	ش	٢٠	١٢
مروجوا	ومروجوا	٢١	٢٤
يعدل	يعدك	٢٣	١٠
رئسيهما	رئيسهما	٢٥	١٩
الناس	للناس	٢٧	١
وتركنا	وتركنـــاه	٢٧	٣
ظنا منه بهذا	ظنا منه انه بهذا	٢٧	٢٠
ولكـــان	ولو كـــان	٢٨	١١
بالفعـل	بالعقل	٢٩	٧
الص ديق	الصديق	٢٩	١٤
تا مــين	تامين	٣٠	١
لتواكد	لنؤكد	٣٢	٢
فيهـا	منهـا	٣٢	٦
يغادى	يعادى	٣٢	١٨
ل	لا	٣٤	١٠
يفرح	من يفرح	٣٦	٨
بعض هم	بعضهم	٣٦	١٧
سبب	بسبب	٣٧	١٥
من الف من القوم	من الف الف من القوم	٤٠	١
الاجهاز	للأجهـاز	٤٢	١٠
ذون	دون	٤٢	١٣
بحالك	بمـــالك	٤٣	١٥
بالوقت	بالوقوف	٤٤	١٩
رعيـا	راعيـا	٤٥	١
الصدقات	الصداقات	٤٥	١٦
من يخلفه	يخلفك	٤٧	١٧
تتفصل	تنفصل	٤٨	١٨
ولاقيه	ولافيه	٤٩	١٢
يجب	يحجب	٥٠	١
تصدق	نصدق	٥٢	٢
تسرع	نسرع	٥٢	٣
تــرى	نرى	٥٢	٢١
نخشـى	نخشى	٥٣	١٦
وتصدق	ونصدق	٥٤	٦
والمحت م	والمحتـم	٥٤	٨
لايترفع	لايترقع	٥٧	٢٣

١ ـ سيتبع هذا ان شاء الله ديوانان للمؤلف الأول ديوان للشعر العربى ، والثانى للشعر النبطي ـ الشعبى ـ وكتاب للأنساب مرهون اخراجها بتوفر الوقت ·

٢ ـ يوجد بعض الأغلاط المطبعية فى الكلمات والنقط والفواصل · وقد جرى تصحيح ما أمكن تصحيحه ، ولن يفوت ذلك على فطنة القراء · وقد رمزنا بصورة الثعلب تعبيراً عن الحذر من الأصدقاء الثعالب ·

وشكراً لمؤسسة الجزيرة على اخراج الكتاب بهذا الشكل مديراً وفنيين وعمالا · وشكراً للمدير الفنى للمطابع الاستاذ محمد الحجي الذى بذل قصارى جهده ·· وسنتلافى الأخطاء بالطبعة الثانية ان شاء الله ؟